منهج البغدادي في تحقيق الشاهد الشعري
من خلال خزانة الأدب

عبد الحفيظ جوبر

قسم اللغة العربية ـ جامعة الجزائر

سعيا مني في استجلاء الحقيقة والبحث على مواقع الإنصاف في تراثنا اللغوي، اجتهدت في وضع معالم مضيئة من خلال قراءة متأنية لأهم المصادر التي خدمت جانبا هاما من هذا التراث، ألا وهو الشاهد الشعري[1]، الذي يمثل المادة الأساسية التي انطلق منها النحاة في وضع قواعدهم واللغويون في إنشاء معاجمهم والبلاغيون في رصد مفاهيم.

فرأيت كتاب **خزانة الأدب للبغدادي** مجالا خصبا يمدني بما أريد من معرفة تكاد تحيط بهذا الجانب من الدرس اللغوي. ولعل اختياري لهذا الكتاب ينبع من المكانة التي حظي بها عند العلماء فضلا عن اتخاذ البغدادي الشواهد الشعرية التي اعتمدها الرضي الاستراباذي في شرحه لكافية ابن الحاجب ـ التي تعد من أهم مصادر النحو العربي ـ مجالا للبحث والدراسة.

ومن الملاحظ أن البغدادي اعتمد منهجا علميا في تحقيقه النصوص تتبين معالمه من خلال كتابه الذي كان هدفه الرئيسي دراسة الشواهد الشعرية، والتي اتخذها منطلقا لمعرفة منهجه الذي يقارب في كثير من جوانبه المناهج الحديثة في تحقيق النصوص[2]. وعملا بهذه المناهج الحديثة نقدم للمؤلف وكتابه ثم نتطرق للشاهد ودراسته:

ترجمة المؤلف[3]:

عبد القادر بن عمر البغدادي(1030 - 1093 هـ = 1620 - 1682 م) نزيل القاهرة، الأديب المصنف الرحالة الباهر الطريقة في الإحاطة بالمعارف، والتضلع من الذخائر العلمية، وكان فاضلا بارعا مطلعا على أقسام كلام العرب النظم والنثر، راويا لوقائعها وحروبها وأيامها، وكان يحفظ مقامات الحريري وكثيرا من دواوين العرب على اختلاف طبقاتهم، وهو أحسن المتأخرين معرفة باللغة والأشعار والحكايات البديعية، مع الثبت في النقل وزيادة الفضل والانتقاد الحسن ومناسبة إيراد كل شيء منها في موضعه، مع اللطافة وقوة المذاكرة وحسن المنادمة، وحفظ اللغة الفارسية والتركية وإتقانهما كل الإتقان، ومعرفة الأشعار الحسنة منهما وأخبار الفرس. خرج من بغداد وهو متقن لهذه اللغات الثلاث، وورد دمشق وقرأ بها على العلامة السيد محمد بن كمال الدين نقيب الشام، وعلى الشيخ النجم محمد بن يحيى الفرضي في العربية. وأقام بدمشق في مسجد قبالة دار النقيب المذكور مقدار سنة. ثم رحل إلى مصر فدخلها في سنة خمسين وألف بعد فتح بغداد بعامين. وأخذ العلوم الشرعية وآلاتها النقلية والعقلية عن جمع من مشايخ الأزهر أجلهم الشهاب الخفاجي والسرى الدوري والبرهان المأموني والنور الشبراملسي والشيخ يس الحمصي وغيرهم. وأكثر لزومه كان للخفاجي، قرأ عليه

كثيرا من التفسير والحديث والآداب وأجازه بذلك وبمؤلفاته. وكان الخفاجي مع جلالته وعظمته يراجعه في المسائل الغريبة لمعرفته مظانها وسعة إطلاعه وطول باعه.

حكى الفاضل مصطفى بن فتح الله قال: قلت له لما رأيت سعة حفظه واستحضاره ما أظن هذا العصر سمح برجل مثلك، فقال لي: جميع ما حفظته قطرة من غدير الشهاب وما استفدت هذه العلوم الأدبية إلا منه. ولما مات الشهاب تملك أكثر كتبه، وجمع كتبا كثيرة غيرها، وأخبرني عنه بعض من لقيته أنه كان عنده ألف ديوان من دواوين العرب العاربة، وألف المؤلفات الفائقة منها شرح شواهد شرح الكافية للرضى الاسترابادي في ثمان مجلدات، جمع فيه علوم الأدب واللغة ومتعلقاتها بأسرها إلا القليل. وله أيضا شرح شواهد شرح الشافعية للرضي أيضا والحاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام .

محتوى الكتاب:

الخزانة إحدى مجاميع الأدب الكبرى، وأعلى موسوعة في علوم العربية وآدابها كما قال محققها المرحوم عبد السلام هارون[4]. وموضوعه (شرح شواهد الشيخ الرضي في شرحه لكافية ابن الحاجب في النحو) وقد اشتمل (شرح الرضي) على 957 شاهداً من شواهد النحو. إلا أن البغدادي اخترق اتصال الكتاب بالنحو، فجمع فيه فنوناً وأخباراً قلما اشتمل عليها كتاب غيره، وتمتع بمنهج أصيل، رسمه لنفسه في فاتحة الكتاب، ولم يحد عنه إلا في القليل النادر، ورجع في كتابه إلى ما يزيد على الألف مرجع. ورقم الشواهد التي تولى شرحها، واتخذ رقم الشاهد دليله في أي إحالة تتصل به، وهو يترجم لصاحب الشاهد مرة واحدة، ثم يحيل على الترجمة في المرات الأخرى، وجميع من ترجم

لهم 240 شاعراً منهم ثلاثة شعراء، انحصروا في الفترة بين الجاهلية ونهاية القرن الثاني، باستثناء أبي دحية النميري المتوفى سنة 210هـ، وسبب توقفه عند نهاية القرن الثاني أن عمله في شعر الاحتجاج. ولم يلتفت في كتابه إلى الشعر الذي لا يعرف قائله، الأمر الذي كلفه عناء شديداً في توثيق ما يرد ضمن الأخبار من الأشعار. وامتاز بإثبات ما خشي عليه الضياع من القصائد التي يقل تداولها. طبع كتاب الخزانة سنة 1299هـ 1882م بمطبعة بولاق، وعلى هامشه (شرح الشواهد الكبرى) للبدر العيني.

أسباب تأليفه:

كعادة علمائنا القدماء يذكرون في مقدمة كتبهم أسباب تأليفهم ومقاصدهم في ذلك، وهو يشير إلى ذلك بقوله[5]: "هذا شرح شواهد الكافية لنجم الأئمة، وفاضل هذه الأمة، المحقق محمد بن الحسن الشهير بالرضي الأستراباذي، عفا الله عنه ورحمه. وهو كتاب عكف عليه نحارير العلماء، ودقق النظر فيه أماثل الفضلاء؛ وكفاه من الشرف والمجد، ما اعترف به السيد والسعد؛ لما فيه من أبحاث أنيقة، وأنظار دقيقة؛ وتقريرات رائقة، وتوجيهات فائقة؛ حتى صارت بعده كتب النحو كالشريعة المنسوخة، أو كالأمة الممسوخة؛ إلا أن أبياته التي استشهد بها ـوهي زهاء ألف بيتـ كانت محلولة العقال ظاهرة الإشكال لغموض معناها وخفاء مبناها، وقد انضم إليها التحريف، وبان عليها أثر التصحيف. وكنت ممن مرن في علم الأدب، حتى صار يلبيه من كثب؛ وأفرغ في تحصيله جهده، وبذل فيه كده، وجمع دواوينه، وعرف قوانينه، واجتمع عنده بفضل الله من الأسفار، ما لم يجتمع عند أحد في هذه الأعصار؛ فشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد، وشرعت في شرحها على وفق المنى والمراد. فجاء بحمد الله حائز المفاخر والمحامد، فائقاً على جميع

شروح الشواهد؛ فهو جدير بأن يسمى: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**. وقد عرضت فيه بضاعتي للامتحان، وعنده يكرم المرء أو يهان:

على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخـــلص منه لا عـــلي ولا ليا[6]"

الكلام الذي يصح الاستشهاد به في علوم العربية:

يورد البغدادي في كتابه عن الكلام الذي يستشهد به في وضع علوم العربية أقوال العلماء، ثم يذكر رأيه ومن ذلك يقول[7]:

"قال الأندلسي في شرح بديعية رفيقه ابن جابر: "علوم الأدب ستة: اللغة والصرف والنحو، والمعاني والبيان والبديع؛ والثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب، دون الثلاثة الأخيرة فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين، لأنها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم، إذ هو أمر راجع إلى العقل، ولذلك قبل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحتري، وأبي تمام، وأبي الطيب وهلم جراً".

وأقول[8]: الكلام الذي يستشهد به نوعان: شعر وغيره: فقائل الأول قد قسمه العلماء على طبقات أربع:

الأولى: الشعراء الجاهليون، وهم قبل الإسلام، كامرئ القيس والأعشى.

الثانية: المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كلبيد وحسان.

الثالثة: المتقدمون، ويقال لهم الإسلاميون، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام، كجرير والفرزدق.

الرابعة: المولدون، ويقال لهم المحدثون، وهم من بعدهم إلى زماننا، كبشار ابن برد وأبي نواس.

فالطبقتان "الأوليان" يستشهد بشعرهما إجماعاً. وأما "الثالثة" فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها.

تحقيق الشواهد الشعرية:

عمد البغدادي في تحقيقه الشاهد الشعري إلى جوانب عدة من أجل الوصول إلى إثبات نسبته إلى قائله والتأكد من صحته وسلامته. ويظهر اجتهاده وحرصه جلي من خلال تتبعنا لمنهجه الذي التزمه في كتابه.

1 - نسبة البيت إلى قائله:

يبدو لنا البغدادي مجتهدا محققا بعيدا عن التسرع في الحكم، حيث لا يسوقه قول ما في البيت دون أن تكون هناك قرائن قوية يستعين بها. وخزانته أكبر شاهد على ذلك، ولأن الرضي أنشد زهاء ألف بيت يخلو كثير منها من النسبة إلى قائل معين. فقام البغدادي ونسب الكثير منها، فشاهد نحوي عرف قائله ودرجة فصاحته وسلامة الاحتجاج به وتم توثيقه خير من شاهد مجهول لا يعرف صاحبه. ولنضرب أمثلة لما قلناه توضيحا وتوكيدا.

_ فقد قال البغدادي في البيت الذي انشده الرضي:

يقول الخنى وابغض العجم ناطقا إلى ربنا صوت الحمار اليجدع

"وهذا البت ثاني سبعة أبيات أوردها أبو زيد في نوادره لذي الحرق الطهوي"[9].

_ ويقول في البيت الذي انشده الرضي:

إذا اجتمعوا على ألف وواو وياء هاج بينهم جدال

"وبيت الشاهد ليزيد بن الحكم،كما نسبه إليه الزجاج في أول تفسيره وابن الانباري وأبو علي القالي"[10].

_ ويقول أيضا في البيت الذي انشده الرضي:

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلاّ يبين غرابها

وهذا البيت من قصيدةٍ عدّتها ستّة وعشرون بيتاً، للأخوص اليربوعيّ وهذه أبيات منها أنشدها الجاحظ في "كتاب البيان[11]" :

وليس بيربوع إلى العقل حاجــةٌ سوى دنس يسودّ منه ثيابها

فكيف بنوكى مــالكٍ إن غفرتم لهم هذه أم كيف بعد خطابها

مشائيم ليسوا مصلحين عشيــرة ولا نــاعب إلاّ يبين غرابها

فــإن أنتم لــم تقتلوا بــأخيكم فكونوا غايا بالأكف عيابها

سيخبر مــا أحدّثتم فــي أخيكم رفاقٌ من الآفاق شتّى إيابها

والأمثلة كثيرة في الخزانة فليعد إليها من أراد الاستزادة.

– وقد يورد اختلافا في نسبة البيت من غير أن يرجح قولا على قول ويكتفي بعرض الخلاف فيقول[12] في البيت:

ياما أميلح غزلاناً شدن لنا من هؤليائكن الضال والسمر

وروى العباسي في معاهد التنصيص[13] عن بعضهم أنه من أبيات لبعض الأعراب. وذكرها في الدمية[14] للباخرزي أنه أول أبيات ثلاثة لبدوي اسمه كامل الثقفي.

وهذا البيت[15] قد روي للمجنون، ولذي الرمة، وللحسين بن عبد الله. والله أعلم.

ثم رأيت الصاغاني قال في العباب: للحسين بن عبد الرحمن العريني.

وقال السخاوي في شرح المفصل: والنحاة ينشدون:

ياما أميلح غزلانا..... البيت،

ظناً منهم أنه شعر قديم، وإنما هو لعلي بن محمد العريني.

ـ ويقول في بيت انشده الرضي:

وقد جعلت نفسي تطيب لضغمةٍ لضغمهماها يقرع العظم نابها

قال أبو محمد الأسود الأعرابي في ضالة الأديب، وهو ما كتبه على نوادر ابن الأعرابي: إنه لمغلس بن لقيط. ونسب ابن الشجري في أماليه[16]، وتبعه شارح اللباب، هذا الشعر إلى لقيط بن مرة. وقال ابن هشام في شرح شواهده: هو لمغلس بن لقيط السعدي لا الأسدي. هذا ما وقفت عليه، والله أعلم بحقيقة الحال[17]".

– وقد لاحظت إيراده لهذا الكم من أقوال العلماء مع ذكر مظانها بشكل مطرد في خزانته مما يدل على سعة اطلاعه وحرصه الشديد في التثبت من نسبة البيت إلى قائله. كما يظهر جليا في كثير من المواطن رأيه في نسبة البيت إلى قائله أو نفيها، مدعما إياه بالحجج والأدلة. ومن الأمثلة على ذلك قوله[18] في البيت:

كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل

هذا البيت من أبيات أربعة رواها الرواة لتأبط شراً، منهم الأصمعي، وأبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات، وابن قتيبة في أبيات المعاني[19]. وخالفهم أبو سعيد السكري، وزعم أنها لامرئ القيس، ورواها في معلقته المشهورة بعد قوله:

كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل

والأبيات هذه[20]:

وقــربة أقوام جعلت عصامهــا عــلى كاهل مني ذلــول مرحل

وواد كجوف العير قفر قطعتــه بــه الذئب يعوي كالخليع المعيــل

فقلت لــه لما عوى: أن شأننــا قليل الغنــى إن كنت لما تــمــول

كلانــا إذا ما نــال شيئاً أفاتــه ومن يحترث حرثي وحرثك يهــزل

وهذا الكلام أشبه بكلام اللص والصعلوك، لا بكلام الملوك[21].

ويرد نسبة العيني في قول الشاعر:

أمهتي خندف والياس أبــي وحاتم الطائي وهــاب المئــي

بقوله[22]: زعم العيني أن البيت الشاهد من هذا الرجز، وهو:

إني لدى الحرب رخي اللبب عند تناديهم بــهــال وهب

أمهتي خندف والياس أبــي وحاتم الطائي وهاب المئــي

وهذا لا أصل له، فإن الرجز عنده لقصي بن كلاب، أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم.

وكيف يكون حاتم الطائي أباً لقصيٍّ مع أنه بعده بمدة طويلة. وقافية الرجز أيضاً تأباه، وليس في هذا اشتباه.

- وأحيانا يصحح النسبة بالرجوع للرواة كقول الشاعر:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

يقول[23]: بيت الشاهد نسبه ابن الشجري في أماليه[24] للأشهب بن رميلة. وكذا غيره. والصحيح أنه من قصيدة لجرير لا خلاف بين الرواة أنها له. وهي جواب عن قصيدة تقدمت للفرزدق على قافيتها... والقصيدتان مسطورتان أيضاً في منتهى الطلب من أشعار العرب[25].

ـ ويصحح النسبة أيضا بالرجوع للدواوين كقول الشاعر:

في ليلة لا نرى بها أحداً يحكي علينا إلا كواكبها

يقول[26]: وهذا البيت نسبه الشارح المحقق إلى عدي بن زيد، موافقة لشراح شواهد سيبويه ولم ينسبه سيبويه في كتابه إلى أحد، وإنما أورده غفلاً. وقد تصفحت ديوان عدي بن زيد مرتين فلم أجده فيه؛ وإنما هذا البيت من أبيات لأحيحة بن الجلاح الأنصاري، أثبتها له الأصبهاني في الأغاني[27].

ـ ويصحح النسبة أيضا من دون ذكر الدليل كقول الشاعر:

ليبك يزيد ضارع لخصومه ومختبط مما تطيح الطوائح

فيقول[28]: نسبه النحاس في شرح أبيات الكتاب، وتبعه ابن هشام، للبيد الصحابي؛ وحكى الزمخشري أنها لمزرد أخي الشماخ، وقال ابن السيرافي: هي للحارث بن ضرار النهشلي يرثي يزيد بن نهشل؛ وقال اللبي: إنها لضرار النهشلي، وذكر البعلي أنها للحارث بن نهيك النهشلي، وقيل هي للمهلهل. والصواب: أنها لنهشل بن حري كما في شرح أبيات الكتاب لابن خلف؛ وكذا في شرح أبيات الإيضاح. والله أعلم.

ـ ويذكر في قضية الأبيات مجهولة القائل كقول الشاعر:

لا تلحني إني عسيت صائماً

قال ابن هشام في شرح أبيات الناظم[29]: "طعن في هذا البيت عبد الواحد الطراح في كتابه بغية الآمل، ومنية السائل. فقال: هو بيت مجهول، لم ينسبه الشراح إلى أحد، فسقط الاحتجاج به".

ولو صح ما قاله (ابن هشام) لسقط الاحتجاج بخمسين بيتاً من كتاب سيبويه، فإن فيه ألف بيت قد عرف قائلوها، وخمسين بيتاً مجهولة القائلين[30].

ويقول[31]: "الشاهد الذي جهل قائله إن أنشده ثقة كسيبويه، وابن السراج والمبرد ونحوهم، فهو مقبول يعتمد عليه، ولا يضر جهل قائله، فإن الثقة لو لم يعلم أنه من شعر من يصح الاستدلال بكلامه لما أنشده. ومراد عبد الواحد أنه لم ينسبه الشراح إلى أحد ممن أنشده من الثقات أو إلى قائل معين يحتج بكلامه".

2 - اعتماد الدواوين:

من أوكد أعمال المحقق الرجوع إلى المظان الأصيلة، وعلى رأسها الدواوين في توثيق روايات النصوص الشعرية، خاصة إذا كانت مواطنا للاستشهاد في علوم العربية كالنحو والصرف واللغة والبلاغة. ولم يكن البغدادي غافلا عن هذا المبدا في دراسته للشواهد الشعرية، بل نراه في خزانته يعود في أكثر الأشعار إلى الدواوين التي تتوفر له إن كانت من ممتلكاته أو عند غيره.

- فحين يذكر قول الشاعر:

يـــا رب يا رباه إياك أسل عفراء يا رباه من قبل الأجل

الذي نسبوه إلى عروة بن حزام العذري، يقول[32]:"وقد راجعت ديوان عروة فلم أجد هذا الرجز".

- وفي البيت المنسوب إلى عمرو بن معد يكرب:

دعـــني فأذهـــب جانبـــاً يومـــاً وأكفـــك جانبـــا

يقول[33]: وهذا البيت لم أجده في ديوان عمرو بن معد يكرب، فإني تصفحت ديوانه مراراً، فلم أره فيه، كما أن غيري تصفح ديوانه، فلم يجده فيه. والله أعلم.

- وفي البيت الذي انشده الرضي:

فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم وصاحب الركب عثمان بن عفانا

يقول[34]: البيت لكثير بن عبد الله النهشلي المعروف بابن الغريزة. وقيل لحسان بن ثابت. وقد راجعت ديوان حسان فلم أجده.

وقال العيني: عزاه ابن السيرافي في شرح أبيات الإيضاح لكثير بن عبد الله المذكور.

وقد راجعته[35] أيضاً فلم أجده فيه... وقبله:

صحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

وأقول[36]: ذكر الذهبي في تاريخه أن هذا البيت من أبيات لحسان بن ثابت. وقد راجعت ديوانه، فرأيت أبياتاً على هذا الوزن، وما فيها هذا البيت. والله أعلم.

- وفي البيت الذي انشده سيبويه لامرئ القيس:

ويلمّها في هواء الجوّ طالبةً ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

يقول[37]: وهذه رواية النحاة، وأما الثابت في ديوان امرئ القيس[38] فهو:

ويلمّها في هواء الجوّ طالــبةً لا كالتي في هواء الجوّ طــالبة

- وهو مع رجوعه إلى الدواوين لا يجعلها مبلغ العلم في توثيق النصوص الشعرية فربما لم يذكرها جامع الديوان فغابت عنه و لم يطلع عليها. ولذلك يقول[39] في بيت الأخطل:

إن من يدخل الكنيسة يوماً يلق فيها جآذراً وظباء

قد فتشت ديوان الأخطل من رواية السكري فلم أظفر به فيه؛ ولعله ثابت في رواية أخرى. ونسبه السيوطي في شواهد المغني إلى الأخطل.

- ولئن كان المحقق في عصرنا يعود إلى جميع طبعات الديوان والمحققة منها فإن للبغدادي نفس الوجهة في التحقيق حيث يقول[40]: "وديوان شعره (يعني أبا نواس) مختلف لاختلاف جامعيه، فإنه اعتنى بجمعه جماعة منهم أبو بكر الصولي، وهو صغير. ومنهم علي بن حمزة الأصبهاني، وهو كبير جداً. وكلاهما عندي، ولله الحمد على نعمه. ومنهم إبراهيم بن أحمد الطبري المعروف بتوزون و لم أره إلى الآن".

تبين من هذه الدراسة أن البغدادي يولي اهتماما كبيرا بالعودة إلى الدواوين الشعرية بحيث استثمر مكتبته العامرة استثمارا في خدمة الشواهد الشعرية التي يعالجها. ولذلك استعملها بشكل ينم عن ذهن وقاد وعقل فاحص وهمة عالية.

3- توثيق روايات الشاهد:

لا يرقى النص المحقق إلى الدرجة العالية من الصحة والثبوت، حتى يقدم المحقق ما استطاع من الروايات، ويعمد إلى توثيقه منها بالترجيح

المؤيد بالقرائن الواضحة. وخزانة البغدادي ضجت بالأمثلة الكثيرة نذكر منها الروايات المختلفة لقول الشاعر:

وأنني حوثما يثني الهوى بصري من حوثما سلكوا أدنو فأنظور

هذه رواية الفراء، وروى ابن جني في سر الصناعة، وفي الخصائص، وفي المبهج: يسري بدل يثني، وزاد في المحتسب فقال: هكذا روى أبو علي يسري من سريت، ورواه ابن الأعرابي يشري بالشين معجمة أي: يعلق ويحرك الهوى بصري؛ وما أحسن هذه الرواية وأظرفها[41].

وفي مواضع يضيف شرحا لها ومن ذلك قوله[42] في البيت:

فقلت لـه : والـذي حـج حـاتمٌ أخونك عـهداً إنني غير خـوان

والبيت أحد أبياتٍ ثلاثةٍ أوردها أبو زيد في نوادره. لكن روايته ليست كرواية الجماعة، وهي فيها كذا:

مررت على دار امـرئ السوء عنـده ليوث كعيدانٍ بحائط بسـتان

ومررت على دار امرئ الصدق حولـه مرابط أفـراسٍ و ملعب فـتيان

فقـال مجـيباً والـذي حـج حـاتمٌ أخـونك عـهداً إنني غير خوان

وقد يمر البغدادي ببعض الروايات التي ترد في بعض المظان، فيرى فيها ضعفا أو مجالا للنقد فيدلي بدلوه، فهو لا يقتصر على السرد، وإنما قد يقوم هذه الروايات ويبين أوجه هذا التقويم، فقد يذكر الروايات المختلفة لبيت الفرزدق:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع مـن المـال إلا مسحتاً أو مجلف

بقوله[43]: على أنه تجوز المخالفة في الإعراب، إذا عرف المراد كما هنا، فإن قوله مجلف معطوف على قوله مسحتاً، وهما متخالفان نصباً ورفعاً.وهذا البيت صعب الإعراب. قال الزمخشري: هذا بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية إعرابه. وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء: رفع الفرزدق آخر البيت ضرورة، وأتعب أهل الإعراب في طلب الحيلة، فقالوا وأكثروا، ولم يأتوا فيه بشيء يرضي. ومن ذا يخفى عليه من أهل النظر أن كل ما أتوا به من العلل احتيال وتمويه. هذا ما اطلعت عليه من توجيه هذه الرواية، وهي الرواية المشهورة. وقد أوردها صاحب الكشاف في سورة طه.

وفيه روايات أخر[44]: إحداها: إلا مسحت أو مجلف برفعهما. قال علي بن حمزة في كتاب التنبيهات: رواه أبو جعفر بن حبيب في كتاب النقائض برفع الاسمين.

والصواب توجيه صاحب الكشاف فإنه استشهد به على قراءة أبي والأعمش فشربوا منه إلا قليل بالرفع مع كونه استثناء من كلام موجب حملاً له على المعنى، فإن قوله: فشربوا منه، في معنى فلم يطيعوه إلا قليل، فرفعه كرفع الشاعر مسحتاً ومجلفاً مع كونه استثناء مفرغاً في موقع المفعول به، لأنه في المعنى واقع موقع الفاعل، لأن لم يدع في معنى لم يبق[45].

والأحسن ما ذهب إليه الطوسي، نقله عنه صاحب التنبيهات قال: أراد لم يدع من الدعة[46].

وثاني الروايات الأخر رواية خالد بن كلثوم وهي:

وعضّ زمان يا ابن مروان ما به من المال إلاّ مسحتٌ أو مجلّف

برفع الاسمين أيضاً، حكاه عنه علي بن حمزة صاحب التنبيهات.

وقال الفراء في تفسيره: قيل لي إن بعض الرواة يقول: ما به من المال إلا مسحت أو مجلف فقلت: ليس هذا بشيء. انتهى.

وعندي أن هذه أحسن الروايات وأصحها"[47].

هذا قليل من كثير مما أورده البغدادي في خزانته ولأن المقام لا يستوجب ذكر عدد أكثر.

4 - شرح الشاهد:

عني البغدادي بتوضيح معاني الشاهد بشرح ألفاظه وتبيان غموضه وقد كان هذا مقصدا رئيسيا من مقاصده في خزانته. ومن ذلك شرحه:

فيستخرج اليربوع من نافقائه و من جحره بالشيحة اليتقصع

يقول[48]: وهذا البيت من أبيات أوردها أبو زيد في نوادره لذي الخرق الطهوي وهي:

أتاني كلام الثعلبي ابن ديسق ففي أي هذا ويله يتترع

يقول الخنى وأبغض العجم ناطقاً إلى ربنا صوت الحمار اليجدع

فهلا تمناها إذ الحرب لاقح وذو النبوان قبره يتصدع

يأتك حيا دارم وهما معاً ويأتك ألف من طهية أقرع

فيستخرج اليربوع من نافقائه ومن جحره بالشيحة اليتقصع

ونحن أخذنا الفارس الخير منكم فظل وأعيا ذو الفقار يكرع

واليربوع : دويبة تحفر الأرض. وله جحران أحدهما: القاصعاء وهو الذي يدخل فيه. والآخر: النافقاء وهو الجحر الذي يكتمه ويظهر غيره، وهو موضع يرققه، فإذا أتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق، أي: خرج . ومعنى البيت: إنكم إن حاربتمونا، جئنا لكم بجيش لهام، يحيطون بكم فيوسعونكم قتلاً وأسراً، ولا نجاة لكم احتلتم بكل حيلة، كاليربوع الذي يجعل النافقاء حيلة لخلاصه من الحارش، فإذا كثر عليه الحارش؛ أخذوا عليه من نافقائه وقاصعائه، فلا يبقى له مهرب البتة".

وقد يشرح البغدادي فضلا عن الشاهد بيتا آخرا يليه أو يسبقه لأنه يرى في ذلك تماما لمعناه واستيفاء لغرضه ومن ذلك ما انشده الرضي:

يحدو ثماني مولعاً بلقاحها حتى هممنا بزيغة الإرتاج

وقبله:

كأن أصل رحالها وحبالها علقن فوق قويرح شحاج

فيقول[49]: شبه ناقته في سرعتها بحمار وحشي قارح يحدو ثماني أتن أي يسوقها مولعا بلقاحها حتى تحمل، وهي لا تمكنه فتهرب منه، حتى هممت بإسقاط ما ارتجت عليه أرحامها من الأجنة. ولأن الأنثى من الحيوان غير الإنسان، لا تمكن الفحل إذا حملت. يريد أن هذا الحمار عدا خلف أتنه ليلقحها ويركبها حتى تحبل، فهربت منه، فكأنه ساقها سوقاً عنيفاً حتى هممت بإسقاط ما ارتجت عليه أرحامها من الأجنة وإزلافه، وكأن زمام هذه الناقة مرتبط بهذا الحمار الشديد الحرص على اللقاح بأتنه، فهي تعدو بعدوه، وهذا غاية في سرعة الناقة.

ثم يقول[50]: ولم يقف الأعلم الشنتمري على البيت الأول. فظن أنه في وصف راع فقال: وصف إبلاً أولع راعيها بلقاحها حتى لقحت، ثم حداها أشد الحداء حتى همت بإسقاط ما في بطونها من الأجنة.

وقد يكتفي بعرض رأي احد العلماء الذين سبقوه معتقدا بصحته بعد أن أورد آراء غيره معلقا وناقدا كما في شرح الشاهد السادس والخمسين:

قد أصبحت أم الخيار تدعي علي ذنباً كله لـــم أصنع

فيقول[51]: ورأيت للفاضل اليمني على هذا البيت كلاماً أحببت إيراده، وهو قوله: "معنى هذا البيت أن هذه المرأة أصبحت تدعي علي ذنباً، وهو الشيب والصلع والعجز وغير ذلك من موجبات الشيخوخة. ولم يقل ذنوباً بل قال ذنباً، لأن المراد كبر السن المشتمل على كل عيب، ولم أصنع شيئاً من ذلك الذنب. ولم ينصب كله، لأنه لو نصبه مع تقدمه على ناصبه لأفاد تخصيص النفي بالكل ويعود دليلاً على أنه فعل بعض ذلك الذنب؛ ومراده تتريه نفسه عن كل جزء منه، فلذلك رفعه إيذاناً منه بأنه لم يصنع شيئاً منه قط، بل كله بجميع أجزائه غير مصنوع".

5- مراعاة عروض الشاهد:

عمل البغدادي على ضرورة إقامة الوزن العروضي للشاهد بالنظر إلى صحة عروضه بتحقيق رواية نصه الشعري، وذكر بحره وما يعتريه من زحافات وعلل. فهو يشير إلى ما أصاب التفعيلات ولم يؤد ذلك إلى خلل. فقد روى لعبيد الله بن الحر الجعفي، من قصيدة يرثى بها الحسين بن علي رضي الله عنهما قوله:

يا لك حسرةً ما دمت حياً تردد بين حلقي والتراقي

فيقول[52]: "يا لك حسرة "، هذا مخروم؛ والخرم: إسقاط أول الوتد.

وروى لأبي طالب:

وبالحجر الأسود إذ يمسحونه إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل

ثم قال[53]: قال السهيلي: وقوله بالحجر الأسود فيه زحاف يسمى الكف، وهو حذف النون من مفاعيلن، وهو بعد الواو من الأسود.

وقد يشير إلى الوهم الذي قد يقع فيه من لا يحسن علم العروض بالخلط بين البحور المتشابهة بقوله[54] في البيت:

وصالياتٍ ككما يؤثفين

"وهو من قصيدة لخطام المجاشعي. وهي من بحر السريع؛ وربما حسب من لا يحسن العروض أنه من الرجز كما توهمه بعضهم؛ لأن الرجز لا يكون فيه معولات فيرد إلى أفعولات. ومثله:

قد عرضت أروى بقولٍ إفناد

وهو مستفعلن مستفعلن فعولات".

ويجمع أحيانا بين علمي العروض والنحو خدمة النحو خدمة للمعنى الذي يقرره في البيت ومن ذلك أن النحاة ينشدون البيت:

ولو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

يقول[55]: "والصواب في رواية البيت:

لو كان عبد الله مولى هجوته

بحذف الواو وجعل البيت مخروماً؛ فإنه بيت واحد و لم يتقدمه شيء حتى تكون الواو عاطفة".

إن معيار المعنى ـ الذي يرى حذف الواو ـ أهم عند البغدادي من المعيار العروضي ، والظاهر أن الحق في جانب النحاة. ولكن إذا أمكن مراعاة علم العروض إلى جانب علم النحو فهو السبيل الأسلم والقريب من الصحة. وأما وجود الواو فقد يكون تخريجها بوجوه منها:

ـ إن البيت يكون مرويا على سبيل التضمين فهو قي القصة المشهورة مفردا ولكنه قد يكون مأخوذ من قصيدة سابقة.

ـ وقد توجد رواية أخرى لم يهتدي إليها حذفت الواو فيها.

إن هذا المقال لا يفي الموضوع حقه ولاياتي بالغرض كله، ولكني أريد كما سبق وان ذكرت توضيح معالم هذا المنهج واثبات علميته. ولهذا فان العمل يحتاج إلى تتبع وتثبت أكثر، حتى نرسم كل معالمه بعد قراءة مستوفاة وتأمل دقيق.

الهـــوامـــش:

1. نذكر منها فرائد القلائد للعيني، وشرح شواهد المغني للسيوطي وغيرهما.

2. للاطلاع أكثر ينظر: *تحقيق النصوص عند علمائنا العرب القدماء*، الشريف مريبعي، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 1998.

3. المحبي: "*خلاصة الأثر*" 2: 451-454، البغدادي: "*هدية العارفين*" 1: 602، حاجي خليفة: "*كشف الظنون*" 1330، البغدادي: "*إيضاح المكنون*" 6: 429، 2: 546، الزركلي: "*الأعلام*" 4: 167، 397 :

I: 64 , Brockelmann: g , II: 682 , s , II Brocklmann: « *Encyclopedie de lislam*»355 – 353 ،218 - 209 :5 (م) راغب الطباخ: الزهراء

4. ينظر "*مقدمة تحقيق عبد السلام هارون لخزانة الأدب*" .

5. "*خزانة الأدب*" 3/1.

6. *البيت لمجنون ليلى*" ، ينظر ديوانه.

7. "*خزانة الأدب*" 5/1.

8. "*خزانة الأدب*" 6/1.

9. "*خزانة الأدب*" 31/1.

10. "*خزانة الأدب*" 113/1.

11. "*البيان والتبيين*" 261/2.

12. "*خزانة الأدب*" 93/1.

13. "*معاهد التنصيص*" 167/3.

14. "الدمية" 29.

15. "خزانة الأدب" 34/1.

16. "خزانة الأدب" 301/5.

17. "أمالي ابن الشجري" 89/1، 201/2.

18. "خزانة الأدب" 134/1.

19. "المعاني" 209/1.

20. "خزانة الأدب" 134/1.

21. "خزانة الأدب" 134/1.

22. "خزانة الأدب" 375/7.

23. "خزانة الأدب" 55/3.

24. "أمالي ابن الشجري" 210/2.

25. "منتهى الطلب" 186/1.

26. "خزانة الأدب" 351/3.

27. "الأغاني" 114/13.

28. "خزانة الأدب" 303/1.

29. "خزانة الأدب" 317/9.

30. "خزانة الأدب" 317/9.

31. "خزانة الأدب" 317/9.

32. "خزانة الأدب" 210/7.

33. "خزانة الأدب" 100/9.

34. "خزانة الأدب" 415/9.

35. "خزانة الأدب" 415/9.

36. "خزانة الأدب" 415/9.

37. "خزانة الأدب" 90/4، "الكتاب" 353/1.

38. "ديوان امرئ القيس" 227.

39. "خزانة الأدب" 457/1.

40. "خزانة الأدب" 348/1.

41. " خزانة الأدب" 121/1.

42. "خزانة الأدب" 56/6.

43. "خزانة الأدب" 144/5.

44. "خزانة الأدب" 162/2.

45. "خزانة الأدب" 162/2.

46. "خزانة الأدب" 162/2.

47. "خزانة الأدب" 162/2.

48. "خزانة الأدب" 34/1.

49. "خزانة الأدب" 157/1.

50. "خزانة الأدب" 56/1.

51. "خزانة الأدب" 359/1.

52. "خزانة الأدب" 156/2.

53. "خزانة الأدب" 62/2.

54. "خزانة الأدب" 313/2.

55. "خزانة الأدب" 236/1.